المشرق

المخيّلة وتواصل الافكار

بقلم الاب لويس رتز ڤال اليسوعي

قد ورد في المشرق مقالة لطيفة تحت عنوان « الاحلام » بحث فيها صاحبها الاديب عن الاحلام وكيفيّتها وخواصها. وبينا نحن نقتبس من فوائدها ونجتني من اثارهـا اذ خالجت فؤادنا رغبةٌ شديدة في بسط الكلام عن احلام اخرى يراها الانسان لا في وقت منامهِ بل في حال يقظتهِ ألا وهي سلسلة تمثُّلات ورُؤى مُخيّلتهِ المتنوعة. نعم لهذه القوة فينا افعال وامور عجيبـة طالما شغلت عقول من تفرّدوا للبحث عن حقائق الاشياء حتى اوجبت لها عنـد العامّة تسميةً غايةً في الغرابة وهي حمقاء الدار (la folle du logis)

والحق يُقال ان المخيّلة اذا اطلقنـا لها العنان قصدًا او سهوًا تتصرّف تصرُّف فاقد اللب مختلّ الشعور فكم من مرةٍ اخذت تشرد بنا تارةً ترينا بهجة جنّةٍ خضراء تسقيها المياه العذبة المترقرقة واخرى تصعد بنا الى قنّة جبل شامخ يدنف على ما لا حدَّ لهُ من عباب البحر او رمال الفلوات او رياض غنّاء. حينًا تنصب امام اعيننـا من حُزمنـا رؤياهُ من قريبٍ ونسيب ثم تمثّـل لنا ما نظرناهُ او سمعناهُ في غابر العصر الى غير ذلك من تواصل التصورات التي تتعاقب في افكارنا كانهـا سلسلة متواصلة. وعليهِ فان الغرض من هـذه الخلاصة هو البحث عمّا اذا كانت تلك الصوَر الخياليّة مرتبطة ببعضها ارتباطًا حقيقيًّا يمكن استخلاص قوانينها ووضع سننها او اذا كان تعقُّبها امرًا صدقيًّا لا ينخرط في سلك المواضيع العلميّة. فرأينا تتمةً للفائدة ان نقسم هـذه

العجالة الى بابين نستقصي في اولهما مبدأ هذا الارتباط وعلّتهُ وفي الثاني نكشف القناع عن احكامهِ وناميسهِ المستورة

ولا بُدَّ قبل الخوض في هذه المسألة الوعرة من بعض التنبيهات:

١ً انتا جريًا لدأب ارباب علم النفس (البسيكولوجيا) من معاصرينا نضمّ تحت عنوان المخيلة وتصوراتها كلّ ما يختص فينا بإحياء الماضي من ذكر الاشياء الخارجية مع اغراضها الامر الذي يتمّ بقوة الذاكرة الخيالية(mémoire imaginative) وإنعاش احوالنا الباطنية وهواجس ضميرنا (états de conscience) الى غير ذلك من الموادّ التي يدفعها معهُ سيلُ حياتنا العرم. على انهُ ليس من قصدنا هنا بسط الكلام عن ماهية هذه القوى وخواصها وانما نقتصر كما سبقت الاشارة على توالي التصوّرات الدائرة في مخيّلتنا ليس الّا

٢ً لمّا لم يتمّ لنا فكر دون صورة مادّية فتزّلنا احيانًا لفظة فكر في هذه المقالة منزلة الصورة الخياليّة التي تسبق وجوبًا افعال عقلنا وعليه فسيأتي عندنا توالي الافكار وتوالي التصورات

٣ً واخيرًا بما ان اعمال المخيلة تنتمي الى المركّب البشري فلا عجب اذا كان شرحنا لاصولها وقواعدها شرحًا فيزيولوجيًا مبنيًا على حوادث وتأثيرات حيوانية لا عقليّة في حصر الكلام فيظهر من ذلك اننا لسنا من الذين يأبون الانتفاع بتقدّم العصر والفوز بغنائمهِ في ساحة العلوم ما لم يكن هذا التقدُّم موهومًا يُختفي تحت جلباب المعارف الشريفة أطمار الكفر والبهتان. فتبًّا لتلك الصحف والمجلات التي يتستّرها وراء متارس العلوم الموهومة تودع صفحاتها مقالاتٍ معرّبة دون تورٍّ ولا ادنى انتقاد فانها بزجها الغث والسمين والصحيح مع الفاسد تنفث في نفوس قرائها سمّ كل ضلال

١ في مبدإ تواصل الافكار وعلّتهِ

قد سبق القول ان مخيلتنا بمنزلة مستودع واسع الارجاء فسيح الجوانب نذّخر ضمنهُ صور الاشياء التي أثّرت فينا سلفًا حتى اذا سنحت الفرصة ينهض بعضها من تلك السِّنة وتبرز متسربلةً بثوب الحياة متّشحة بحلاها. هذا ما يسمّيهِ المحدثون إحياء او انتعاش التأثيرات (réviviscence des impressions) او تأثيرًا مُنعشًا او

محيا(١) . على ان صورة واحدة هكذا مسترجعة في ذهننا لا تكاد تبقى وشأنها بل من عادتها ان تجرّ في اذيالها حاشية من التصورات والافكار بحيث يصير من هذا التوالي كسلسلة او سلك من الافكار (train, processus) . فلو أعملنا ذاكرتنا فيما يتناوبنا يومياً من الاحوال الداخليّة لوجدنا ان لذلك التواصل النصيب الاوفر من اوقاتنا لا أورد من بابه الّا مثلاً واحداً يقوم لنا مقام امثلة عديدة تشاكله

اعترضتْ يوماً لنسيب اللبناني وهو يتمشّى في ساحة نيويورك امرأة يلوح على محيّاها بعض المشابهة بأمّه التي تركها في اصقاع جبل لبنان فاذا بصورة الام منتصبةً في ذهن الابن الذي يبعد عنها ألوفاً من الفراسخ . وما ادراك بصورة الام في قلب ابنها ؟ ألا تنظر نسيباً ضائعاً في لجج الافكار غارقاً في بحر الاوهام فيا ترى ما اصابهُ وما طرأ عليه من صروف الدهر ؟ — قد أصابهُ ما يصيب كل انسان يهجر وطنهُ ومسقط رأسه لانهُ بعد رؤيته لأمّه شاهد ولا مشاهدة العيان اختهُ الحبيبة ثمّ البيت الذي ترعرع فيه ثمّ قريتهُ ثمّ شجر التوت المُحدق بالدار الابويّة ثمّ ذقنهُ متردّداً بين ارزاقه ثم نازلاً الى بيروت كي يركب البحر ثم السفينة التي اقلّتهُ الى اميركة مع ظروف سفره العجيب الى غير ذلك . فقل لي ناشدتك الله لماذا رؤية تلك المرأة الغريبة قد أحيت في ذهن نسيب صورة أمه ؟ ثم كيف ان صورة الام أثارت في داخله مجرًى من الافكار يتبجّس ويتدفّق تدفّق المياه المنحدرة من اعالي الجبال

اسمعك تجيبني : انّ الامر لسهلٌ جدًّا . اما رسم الوالدة فللمشابهة واما سائر التصورات فلاتصالها ببعضها — . سقياً لك ايها اللبيب قد أصبت المرمى غير انك لم تفُز بعد بالقدح المعلّى لانّ كلامك في حاجة ماسّة الى ايضاح ونشر طيّ . وربّ سائل يسألك فما الداعي في المشابهة والملاصقة لإثارة الاعمال ما في مخيّلتنا ؟ — قلتَ : لنسبة وُجدت بين المتشابهَيْن والمتصلين وهي كافية لتعليل هذه الظواهر الضميريّة — على رسلك يا صاح وها اني أبين لك ان تلك النسبة التي أنِفتَ بها لا تُغني عنك شيئاً في فضّ المشكل لانها اما ان تكون خارجيّة محضة اعني بها لم يسبق انيا عقلنا ليزكنها وحينئذٍ لا عمل لها في قوانا الإدراكية فما تجديني مثلاً نسبة هذا البناء القائم امام عيني الى بانيه في امر

(١) كما يقولون بالفرنسويّة (impression revécue) فيجعلونها فعلاً من اصل وضعهِ لازماً من باب المبني المجهول

تصوّري صورة هذا الاخير ان لم أشاهده قطّ . واماً ان تكون تلك النسبة قد سبقت اليها معرفتنا على ان هذا ايضاً ليس ليُرضينا لان تلك المعرفة لا تتمّ الّا في عقلنا (حيث ان الحس لا يدرك الّا الخصوصيات) والعقل انما يقف على النسب بعد استحضار حدّي النسبة . والحال في المثل المتّخذ آنفاً ماذا أحضر في ذهن نسيب صورة او فكر الحدّ الثاني عند حضور الحدّ الاول اعني به كيف تمثّل له في غربته بمجرّد صورة امّه رسم داره والقرية المنسوب اليها الى غير ذلك

وقائل يقول انما أنجز ذلك بقوة ذاكرتي التي من شأنها ان تُمثّل لي الاشياء في الفرصة الملائمة — فأُردف قائلاً : وما هي يا ترى الفرصة الموافقة ومن يُطلعني على الاوقات المناسبة لذكر هذا الشيء دون ذاك الآخر ؟

ان مثل هذا الجواب يؤجّل حلّ المعضل بدلاً من ان يفضهُ بتاتاً فضلاً عن انهُ يميّز بين الذاكرة الخيالية والمخيلة تميزاً كلياً مع كون الاولى نوعاً من جنس الثانية

فإذا ثبت مما تقدّم ان تواصل الافكار فينا ليس امراً مادياً صرفاً اعني به مستقلاً من كل معرفة ولا فعلاً عقلياً محضاً فلعلّهُ اذاً صنفٌ من التأثيرات « البسيكو فيزيولوجية » التي بانتمائها الى المركّب البشري تتوسط بين عالم الروحانيات والجسدانيات ولا نكير اذ ذاك انّ رصد ومراقبة ما يجري فينا اعتيادياً من هذا الوجه من اقوى الذرائع لقطع الصعوبة التي نحن في صددها فلنتبع اذاً علماء البسيكولوجيا من الانكليز والفرنسويين الذين بحثوا عن مسألة توالي الافكار اشد بحث فهم جميعهم صوت واحد ويدٌ واحدة لوضع هذه القاعدة التمهيدية الموسومة بقاعدة الاتصال والالتصاق الضميري (contiguité dans la conscience) وهذا منطوقها : لا يحدث توالٍ في افكارنا الّا يسبقهُ « في ضميرنا » تواصل بين تماثيل مخيلتنا (١

ومما يأتي مؤيداً لذلك تهذيب الاحداث وتلقينهم مبادئ القراءة فان الصبي لا يقف تماماً على معرفة حرفٍ من حروف الهجاء ما لم يرَ رسم الحرف على الورق او اللوح ويسمع « في الحين ذاته » صوت الحرف يتلفظ به الاستاذ وبما ان هاتين الصورتين وُجدتا

---

١) راجع رابيار (Robier : *leçons de philosophie*, I, 183 *et seq.*) والمراد بذلك انهُ لولا اقتناء صورة الام مثلاً مع صورة البيت والاخت الخ في مخيلة نسيب قلما يكون مرّةً لما تيسر لهُ ان يفتكر باختهِ ثمّ بدارهِ لمجرّد تذكرهِ بأمهِ

« في آنٍ واحدٍ ضمن نفسهِ » نتج من ذلك انهُ فيما بعد يرى في مخيلته رسم الحرف كلما يسمع التلفظ بهِ او بالعكس

على ان تربية الحيوانات الغير الناطقة ليست على غير هذا النمط لانا نرى الحوذيَّ اذا قرن مرارًا صراخهُ بضرباتٍ من سوطهِ لا يلبث ان يكتفي بالصياح لإنهاض الدابة دون الالتجاء الى الضرب لان الخيل تشعر بوجع القرع كلما يطرق مسامعها صوتُ السائس لاجتماع ذينك التأثيرين في مخيلتها سابقًا

ولعلماء السيكولوجيا حوادث تواصليَّة شتَّى يرددونها في مصنَّفاتهم ويقسمونها الى قسمين : الى متجانسة (associations homogènes) ومتباينة assoc. (hétérogènes بيد ان مرجع جميعها الى الاتصال الباطني فالمتجانسة هي التي تنتمي الى حسٍ واحد كالبصر مثلًا فان مجرَّد صورة رأس صديقي يحيي فيَّ صورة جسمهِ والغرفة التي ألفنا الاجتماع فيها وكل ما اعتدتُ ان اشاهده مع مشاهدتي شخصهُ العزيز. واما المتباينة فهي التي تُعزى الى حواسَّ مختلفة مثال ذلك الجرس اذا وقعت عليهِ عيني رنَّ صداهُ في أذني. ومنهُ ايضًا ان رؤية الليمون الحامض تولد في فمي طعمة حامضة الى غير ذلك من الحوادث التي تطرأ علينا يوميًا دون ان نميزها عين الانتباه

ولمترض أن يوقفنا عند هذا الحد بقولهِ: « هب ان الاتصال الضميري هو اصل كثير من تواصلات افكارنا لكني ارى داعيًا آخر لمثل هذه الحوادث ألا وهي المشابهة ومع انك رفضتها سلفًا كانها غير صالحة لشيء ها انا ابين لك باجلى برهان انها العلَّة الوحيدة لتوالي التصورات بعض الاحيان دون الاتصال. قل لي ناشدتك الله اين الالتصاق في مخيلة نسيب الحكي عنهُ بين صورة تلك المرأة التي اعترضت لهُ في ساحة فيرو يورك وصورة امهِ اذ انهُ لم يعاينها قط في حينٍ واحدٍ وبالتالي لم تلتقِ صورتهما في مخيلتهِ أليست المشابهة وحدها التي صرفت افكار نسيب من المرأة المجهولة الى ذكر امهِ ؟ »

لا ننكر ان هذا الاعتراض من اللطافة ودقة النظر بمكانٍ فضلًا عن أنهُ مبني على الاختبار اليومي لكنا لسنا لنسلم لخصمنا نقطةً تنافي ما اثبتنا سابقًا اي انَّ كل حادث توالي افكار يُعلَّل تعليلًا كافيًا بحادث التصاق في الضمير بل يُسند اليهِ وجوبًا. فالجدال الذي نحن فيهِ الان يكون قد حُسم تمامًا اذا بيَّنَّا ان التوالي بالتشابه يمكن ارجاعه الى هذا الارتباط الضميري فنقول ان الاشياء المتشابهة هي التي تتفق في بعض خواصها

وليس من الضروري ان تضاهي بعضها بعضاً في جميع صفاتها. فهب اذاً ان تكون الحروف ا ب ت ث عبارةً عن صفات احد المتشابهين والحروف ا م ت ل عبارةً عن صفات الآخر فيظهر جلياً ان نفس الألف والتاء اللتين كانتا تتَّصلان بالباء والثاء في الحد الاول قد صارتا متَّصلتين بالميم واللام في الحد الثاني ومن ثمَّ لا عجب ان رؤية العلامتين ا و ت في الحد الثاني تسبب في ذاكرتي احياً العلامتين ب و ث المجاورة لها في الحد الاول وبالتالي الحد الاول باجمعه. وبعبارة اخرى كأني بالمماثلتين قد التقيا في ضميري بواسطة صفاتهما المشتركة فجاز اذ ذاك القول بانَّ كل حادث تتوالى بسببه صور خيالية يفرض اتصالاً بين تصورات باطنية

على اننا لسنا نتخذ هذا الاتصال الداخلي أساساً ومبدأً رحيداً لظواهر المخيلة بل اننا نعتبره كممهِّد بعيدٍ لها لكنهُ ضروري لوجود تلك الحوادث لانهُ يأتي بشرحٍ مستوفٍ لهذه المسألة الحاضرة. والدليل على ذلك ان لو افترضنا عدم وجود اثرٍ من آثار اتصالٍ قد سبق في المخيلة لقصر هذا الاتصال المطموس كل القصور عن تعليل اتصالٍ سواه. والنتيجة وجوب استطلاع مزيَّةٍ من شأنها ان تبقي فينا آثار الحوادث السيكولوجية السالفة فتكون هي الرابطة بين الاتصالات الضميرية الاصلية والفرعية اي بين المنمِّش والمتنمَّش. فماذا عسى ان تكون تلك الخصلة الفريدة الحافظة ضمننا قسماً من حياتنا الغابرة اليست هي العادة ؟ نعم للعادة فينا افعال جليلة تمَّ معظم اعمالنا اليوميَّة مما حمل اهل النُّهى على وضع هذه القضية بعد المراقبة الدقيقة وهي: « ان العادة هي في الحقيقة علَّة توالي تصوراتنا »

بيد ان هذا الحكم في حاجةٍ الى اوفى شرحٍ ونحن لا نضنُّ بهِ على قرَّائنا الكرام ليكونوا على اتمِّ بصيرة من الامر فنقول: ١ً مما لا يشوبه ريب ولا بد ان يشعر بهِ من دأْبهُ التروي والتفكُّر في تقلباتهِ الداخلية اننا بعد اقامتنا لفصلٍ من افعالنا الشخصية يبقى فينا ميل وسهولة لتكراره. والحق يقال اننا اذا شاهدنا عدَّة اشياء في آنٍ واحد او في اونةٍ متواصلة تواصلاً غير منقطعٍ يحدث عادةً انَّ مُثول واحدٍ منها امام عيننا او مخيلتنا يدعونا ويميل بنا الى ان نضمهما من جديد في تصوُّر واحد وبموجب الترتيب الذي رُتبت بهِ في ذهننا لاول مرة. ومما يدعم ذلك على نوعٍ يُزيل كل شبهة ان قواعد اقتباس عادةٍ من العوائد تنطبق ايَّ انطباق على ما نراه من ظواهر توالي الافكار

والحال كما انّ العادة تنمو وتزداد بتواتر العادة الناشئة منهُ كذلك قوّتنا لجمع التصورات وإلحاقها ببعضها تكبر فينا وتتمكّن وبنا اي تمكن بتكرار الافعال المناسبة. ولذا ترى من يراجع امثولةً او قطعةً من الشعر عدة مراتٍ يحفظها في ذهنهِ باعظم سهولة وادقّ أمانةٍ لان الذاكرة من النفس كاليد من الجسد. وكم نشاهد من الموسيقيين البارعين يكثرون من ايقاع لحنٍ واحدٍ على آلة من آلات الطرب لمجرّد رغبتهم في تمرين يدهم حتى تنتقل بكل سرعة من نحلٍ الى اخر دون ان يأبهوا بها وكما يقولون «حتى تأخذ العادة»

٢ وعلاوةً على ذلك كما اننا نرى فعلًا واحدًا اللهمّ اذا كان شديد التأثير من شأنهِ ان يولّد عادة فكذلك ربما يكون المشهد الواحد كافيًا ليسبب صنفًا من تواصل الافكار فيصبح في نفسنا بمنزلة عادةٍ. فما ادراك بما يثيرهُ من اللوعات موت عزيزٍ في قلب صديقهِ او من وفاة وحيدٍ في كبد والدتهِ ليست مثل هذه الرؤية تستقرّ في ذهن المصابين منتصبةً امام أعينهم كأنما تقرّبوا من فراشٍ يتقلب عليهِ مريض او حضروا جنازة فقيد

٣ ان العادة كما سبق القول تعيد الافعال بنوع انها تحفظ الترتيب والنظام الاوّلين بحيث يستمر دائمًا مصدر العمل واحدًا لا يتغيّر. ولذا نرى انهُ من المستحيل علينا إعادة سرد حروف الهجاء عكسًا كما نسردها طردًا وكذلك يمتنع على الموسيقي مهما اشتهر في مزاولة فنهِ ان يراجع نغمات لحنٍ من الالحان بقلب ترتيبها تمامًا

٣ في احكام تواصل الافكار وقوانينهِ

قد ثبت ان انضمام الافكار اساسهُ الاقتضاء في الضمير وعلّتهُ الدنيا العادةُ. فبقي علينا ان نبيّن ماهيّة تلك العادة وكيفيّة عملها فيما نحنُ بصددهِ. فنقول اولًا إن الفوائد المنوّه بها في المسألة الحاضرة ليست هي فوائد روحيّة محضة مما تكون علاقتهُ مع الارادة لا مع الجسد كما اننا بالارادة نكتسب الفضائل كالقناعة والتواضع الخ. والدليل الواضح على ذلك اننا نشهد تأثرات التوالي في الحيوانات التي ليس فيها شيءٌ من العقل فكما ان التصور هو فعلٌ من افعال المركب الانساني كذلك الفوائد المحكي عنها هي فوائد فيزيولوجية لا قيام لها بمعزل عن تأثرات المادة. فاقتضى بنا اذًا ان نطلب حل

المسألة النهائي في تكيُّفات الهيولى الجسميَّة فينا او بعبارة اخرى ان ما نسميه عوائد هي في حصر الكلام تقلُّبات وحالات جسديَّة ينتج منها بواسطة الاعصاب سلكُ تأثيرات يرنّ صداها في النفس ذاتها وبالتالي في العقل

وهاك الآن الشرح الفيزيولوجي لكيفيَّة عمل عوائدنا التواصلية . من المعلوم لكل من له ادنى المام باحوال المركب البشري ان للجهاز العصبي نصيباً في جميع ما يباشرهُ من الاعمال حتى الاعمال الروحيَّة المحضة اذ انها في حالتنا الحاضرة لا تقوم الَّا بمساعدة الجسد فكم بالاحرى اذًا افعال التصور والتخيُّل المشتركة بين الانسان والحيوان كما سلف بيانهُ . والحال بازاء كل حادثٍ خيالي تكيُّفٌ في الدماغ وتقلُّبٌ في الجهاز العصبي الذي ليس هو سوى تشعُّب المادة الدماغية في اعضاء الجسم . ومؤدّى قولي اني مثلاً كلَّما اعملتُ مخيلتي في شيء طرأ على دماغي انفعال مادّي على شبه ضغطٍ او تقلّص او غير ذلك من التأثيرات الحسوسة التي مع خفتها المفرطة لا بد ان تنكشف يومًا لانوار الامتحانات العلمية وخصوصاً لاشعة رنتجن

فنرجع الان الى ما بين الحالة المنبِّهة والمنبَّهة (état suggestif, état suggéré) من العلاقات المادّية ليظهر لنا جليًّا حظّ الجهاز العصبي فيهما . وتسهيلاً للفهم فلنفرض انَّ الحالة المنبِّهة « اي التصوّر المسبب لسياق تصورات اخرى » هي صورة امّ نسيب الموما اليها والحالة المنبَّهة صورة دار الشابّ وجميع لواحقها . وعليه اذا اشرنا الى صورة الوالدة في مخيلة ابنها بالعلامة « ا » يكون التكيف الدماغي او الحركة العصبيَّة الحاذية « اَ » . كذلك فلنمثِّل « ب » هيئة الدار التي طالما تبعت في ذهن الابن صورةَ امه تكون حينئذٍ الحركة العصبيَّة المناسبة « بَ » . فلنبيِّن الان كيف تتعاقب الحركتان العصبيتان وبالتالي الصورتان المقابلتان لهما في حين تلاحق التصورات . فلبيان ذلك لا بُدَّ من تسليم امرٍ وهو ان الحركة العصبيَّة انتشرت من طريق اَ الى بَ (trains of motion, tracts of conduction) وهذا لكثرة اتباعها تلك الخطة سلفًا . فكم وكم من مرة صورة الدار وكل ما تحويهِ تبعت او بالاحرى صحبت في دماغ نسيب صورة امهِ ايام تشعُّبه برؤيتها . ومن غريب الامور الذي يُجمع عليه معظم الفيزيولوجيُّون مع انهُ لم يثبت حتى الآن بالاكتشاف ان مرور تلك الحركة العصبيَّة من نقطة اَ الى بَ لا تتمّ دون ان يبقى لها اثر مادّي كشبه تلَم او اخدود

(sillon) في تلافيف الدماغ بين المركزين أ وب. وهناك الآن مجرًى مفتوحًا بين هذين المركزين. فما المانع اذ ذاك من تنقل الحركة الدماغية من أ الى ب اذا انتعش المركز أ لسبب انتعاش الصورة ا في الخيلة ؟ لا مانع البتة بل يحدث اجتذاب عظيم للسيل العصبي (l'influx nerveux) ليمر بتلك الطريقة المطروقة كما تنحدر المياه وتنصب في مجاري الانهار لا تلوي على الشواطئ وكما يسرع السيل الكهربائي في نفوذه للاجرام الناقلة بدلًا من غير الناقلة. وهذا مبني على قاعدة طبيعية قريبة المتناول يدعونها قاعدة اقل المقاومة (la loi de la moindre résistance, le principe du moindre effort) اعني بهِ ان التأثيرات المادية تتبع الخطة التي فيها كانت الموانع اقل منها في غيرها

هذا ايضاحنا لحوادث توالي الصور وهو كما يظهر للعيان شرح طبيعي وفيزيولوجي محض والفضل فيه كلهُ لعلماء البسيكولوجيا المعاصرين وخصوصًا للدكتور جامس (James) الاميركي الذي اتبعهُ موسيو رابيه (M^r Rabier) وعن هذا الاخير اخذنا خلاصة مجالتنا

ومما يجدر التنبيه اليه ان هذا التعليم ليس الأمذهبًا ذهب اليهِ اغلب من أمعنَ النظر في ظواهر الخيلة على انهُ مذهبٌ تتغلبُ ارجحيتهُ على سواهُ لتمام انطباقهِ على كل ما يتسنى لنا شعورهُ واختبارهُ في دائرة حياتنا الشخصية. فما اوفقهُ مثلًا لكلّ ما اثبتنا عن العوائد واكتسابها وشدتها لاننا اذا سلمنا بوجود تلك المجاري والاخاديد بين المراكز العصبية التابعة للمراكز الخيالية لهان علينا امر الميل المستقرّ فينا الى إعادة فعل تصوري بعد مباشرتهِ مرةً ثمَّ يتضح جليًا كيف ان تصورًا واحدًا بشرط ان تشتدَّ وطأتهُ في مخيلتنا من شأنهِ ان يكسبنا عادةً اذ ان التأثير مسارٌ للشدَّة. ومن المحتمل ان تكون درجة التأثير كافية لنتج تلمٍ في المادة الدماغية اذا كانت قوَّة التصوُّر مفرطة كما مرَّ في المثلين المذكورين آنفًا وهما موت حبيب او ولدٍ الى غير ذلك

ويتبيّن لنا اخيرًا لايّ علةٍ العادة تُعيد سرد افعالنا واحوالنا الضميرية دون تغيير في ترتيبها لانَّ السيل العصبي الجاري في مجرًى معلوم لا يستطيع ان يقلب خطَّته ويسرع بخلاف متعهدهِ او يعرّج على غير مواقفهِ

ان هذه الاعتبارات وغيرها التي لا يسمح لنا بسطها ضيق المكان آئلة كلها الى توطيد

اعتقادنا بصحة وصواب رأي المعاصرين في افعال المخيلة ولولا اعجابنا به واستحساننا الكامل لجميع اصوله ونتائجه لاتفاقها التامّ مع المبادئ الفلسفية والطبيعية لما كنّا لنُثبتهُ في هذه المجلة . على انهُ اذا ذهب احد الادباء غير هذا المذهب وارتأى غير رأينا فليُتحفنا باختراعه وما تجود به قريحتهُ او اذا وجد مغمزاً في التعليم الآنف الذكر فليبدِ ملاحظاته ونحن ان شاء الله نبادر الى اجابته وازالة شبهته والله الموفق الى الصواب والسلام

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٢٠ كنائس لبنان القديمة

نخال قرّاءنا قد اشتاقوا الى مطالعة وصف الكنائس القديمة في لبنان بعد ما كرّرنا ذكرها في فصولنا السابقة . وليس مرادنا ان نستوفي الكلام في هذا البحث لأننا لسوء الحظ لم نتمكّن من زيارة كل كنائس لبنان القديمة . ثمّ ان كثيراً من هذه البيع قد خربت في مدّة هذه العشرين سنةً اذ ذهب عنها ورنقها القديم وذلك لغيرة محمودة في اهل لبنان حملتهم على تجديد بناء كنائسهم او ترميمها لولا انّهم حرموا من بعض الآثار الجليلة الناطقة عن احوال سلفائهم الافاضل وعليه فقد اسرعنا الى كتابة هذه المقالة قبل ان تمتدّ يدُ الخراب الى الكنائس الاخرى العهيدة . وغايتنا من هذه النبذة ان نبيّن للقرّاء اجمالاً ما اتّصفت به هذه البنايات المقدّسة وما هي خواصها التي تفرّدت بها في لبنان .

لا مشاحّة في انّ لبنان يتفاخر على غيره من الاصقاع بوفرة كنائسه . فانك لا تكاد تدخل قريةً منهُ بل مزرعةً من مزارعه دون ان تلقى لها كنيستها ولعلّك تجد في القرية الواحدة اللهمّ اذا كانت متوسّطة في الكبر كنيستين واكثر

واغلب هذه الكنائس لا يرتقي عهدها الى ما فوق المئتي سنة تراها في هندستها